جابر بن حيان

* * *

١ — ماهيته التاريخية

لعل أباعبدالله أو أبا موسى (١) جابر بن حيان بن عبد الله أشهر من يذكره تاريخ العلم فى العصر العربى من العلماء. فان اسمه يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الاثر النافع باسماء العظماء من رواد الحضارة والعمران. ولقد قال فيه الاستاذ «برتيلو» المؤلف الفرنسوى، وصاحب كتاب « تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى» ان اسمه ينزل في تاريخ الكيمياء منزلة اسم ارسطوطاليس في تاريخ المنطق. فكأن جابراً عند « برتيلو » أول من وضع لعلم الكيمياء قواعد علمية تقترن باسمه في تاريخ الدنيا

ولقد عرف جابر بن حيان في العالم اللاتينى باسم «چيبر» Geber واشتهر بكتاب عرف في اللاتينية باسم Summa perfectionis و يقول البحاثه «هوليارد» بان هذا الكتاب مأخوذ عن كتاب جابر المسمى «الخالص». على أن لجابر في العالم اللاتينى كثيراً من المؤلفات المنسوبة الى من يعرفونه «چيبر» ، غير أن هذا الكتاب أشهرها وأعمها بين الناس انتشاراً . على أن الفرق بين جابر و بين من يعرف في العالم اللاتينى باسم « چيبر» قد ذهب ببعض المؤلفين في العصور الاخيرة الى القول بأنهما شخصان مختلفان . ولكن الاستاذ «هوليارد» قد أثبت أن جابر بن حيان هو بعينه المعروف فى العالم اللاتينى باسم « جيبر » وأن كل الكتب المنسوبة فى اللاتينية الى الاسم الاخير هي تراجم أو اقتباسات عن مؤلفات العالم الفارسى أصلا، العربى نسبة .

فى القرن الثامن الميلادى « الثانى من الهجرة» عاش جابر بن حيان فى بلاط الخليفة هرون الرشيد فى بغداد. وكان على صلة حسنة بالبرامكة، والظاهر من سيرته

---

(١) يقول بعض المؤرخين أن اسمه أبو عبدالله وآخرون يقولون انه ابو موسى، واذا صحت الروايتان دلتا على أنه كان لجابر ولدان يدعى أحدهما عبدالله والآخر موسى

أنه كان أشد تعلقا بهم منه بخليفة المسلمين(١) لان البرامكة كانوا يعلقون على علم الكيمياء شأنا كبيراً ، وكانوا يشتغلون بذلك العلم ويدرسونه درساً عميقا . ولقد ذكر جابر فى كتابه « الخواص» كثيرا من المحاورات التى وقعت بينه وبينهم فى معضلات هذا العلم . ويقول القفطى في ترجمة جابر في كتابه «تاريخ الحكماء»(٢) انه برز في فروع العلوم الذائعة فى عهده ولا سيما علم الكيمياء. والظاهر أنه كان له نصيب من الاشتغال بعلم الطب وطرق العلاج، لانه كان من الشائع في ذلك العهد أن يقترن العلم بالكيمياء بالعمل في صناعة الطب.

كل هذه الاشياء تحوط اسم جابر بن حيان بكثير من الاسباب التى تدعو الى التأمل والنظر. أما ماهيته التاريخية فالمحقق منها أشياء خمسة :

أولا — ان اسمه جابر بن حيان(بن عبد الله)(٣)

ثانياً — انه كان فارسيا أصلا ، عربياً نسبة ومنشأ

ثالثا — انه عاصر الرشيد والبرامكة

رابعا — أنه كان على صلة ما بجعفر الصادق

خامساً — انه أشهر من ألف في العربية في علم الكيمياء

* * *

(١) ولعل هذه الصلة راجعة الى عاطفة قومية أكثر منها علاقة علمية

(٢) « جابر بن حيان الصوفى الكوفى ، كان متقدما فى العلوم الطبيعية بارعا فى صناعة الكيمياء وله فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة. وكان مع مشر من علوم الفلسفة ومتقلدا علم المعروف بعلم الباطن . وهو مذهب المتصوفين من أهل الاسلام . وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط الاصطرلابى الاندلسي أنه رأى لجابر بن حيان تأليفا فى عمل الاصطرلاب يتضمن الف مسألة لا نظيرله » .راجع تاريخ الحكماء ص ١١ طبع مصر

(٣) ولعل عبد الله تسمية لغير معروف كالعادة المتبعة فى صرف اسم(عبدالله)على الجد غير المعروف فى نسبة شخص ما

٢ — حياته ومولده

هو أبو عبدالله جابر بن حيان الكوفي (١) وقد يذكر بكنية أبي موسى . ولا يعرف بالضبط مكان ميلاده. ولكن كل الثقاة من المؤرخين يكادون يجمعون على أنه ولد إما بطوس فى خراسان، فى الشمال الشرقى من بلاد فارس، وإما في حران بالعراق على أن بعض الذين ترجموا عن حياته من المشتغلين بعلوم المشرق وتاريخه يرجحون أن طوس مسقط رأسه(٢) وكذلك يجمع كل الثقاة على انه قضى شطراً من حياته في مدينة الكوفة(٣) وكان صديقا للبرامكة وزراء هرون الرشيد(٤) وانه عاش ردحا من الزمان في بلاط بغداد . وقد ينسبه بعض الباحثين الى طرسوس ؛ كما فعل المستشرق واستنفلد Wastenfeld أو يذهب غيره الى أنه صابيء من حران ، كما فعل المستشرق «دربيلو» d'Herbelot فى المؤلف المسمى « المكتبة الشرقية » Bibliotheque orientale ص — ٣٦٠

ومن أغرب ما عثرت عليه من أقوال بعض الذين ترجموا عن حياة جابر من الافرنج أن بعضهم نسبه الى اشبيلية من بلاد الاندلس(٥) وليس هذا هو الخطأ الوحيد الذى وقع فيه الاوروبيون في ترجمة جابر . فقد ذكر في بعض التراجم أن جابراً — « أشهر علماء العرب وفلاسفتهم (٦) » — وفي موضع آخر أنه

---

(١) راجع ابن النديم فى كتاب الفهرست

(٢) يقول الاستاذ هولميارد(Holmyard) «ان الراجح أن يكون جابر بن حيان قد ولد بطوس مسقط رأس الفردوسى الشاعر الفارسى المشهور — راجع مجلة Science progress عدد شهر سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٣) قال الاستاذ هولميارد — «يقال ان معمل جابر بن حيان الكيماوى قد عثر عليه وفى أثناء الحفر فى انقاض منازل بالكوفة منذ قرنين من الزمان » — راجع مجلة Science progress عدد يناير سنة ١٩٢٥ ص ٤٢٠

(٤) يستدل على ذلك بان أهدى اليهم كثيرا من كتبه المعروفة

(٥) يرجح كثيرا أن السبب فى هذا الخطأ راجع الى تشابه فى الاسم بين جابر بن حيان وجابر بن أفلح الاشبيلى الفلكى المعروف الذى عاش فى القرن الحادى عشر الميلادى (القرن الخامس الهجرى)

(٦) راجع ترجمة روسل Russell لمؤلفات جابر المطبوعة بالانجليزية فى لندن سنة ١٦٧٨ حيث ذكر أنه The most Famous Arab Prince & Philosopher

« عربى » مجرد عن كل نعت (١) ثم تجد أنه ملك العرب (٢) وفى مخطوطة (٣) من المخطوطات نعت بأنه ملك العجم ، وفي مخطوطة نادرة كتبت قبل سنة ١٥٠٠ م يدعى بملك الهند (٤) وهذا يدل على أن الاوروبيين حتى عهد قريب لم يحققوا شخصية جابر حيان ، وأن كل علمهم بشخصه كان قاصراً على أنه «شرقى» وأن غالبهم كان يعتقد أنه « عربى » فى حين أنه فارسى ، انتسب الى المدرسة الكيماوية العربية .

* * *

يستدل من التواريخ المحققة أن البرامكة ظلوا ممتعين بثقة هرون الرشيد سبعة عشر عاماً أى من سنة ٧٨٦ الى ٨٠٣ ميلادية (١٧٠ — ١٨٨ هـ) فعلى هذا نستطيع أن نرجع بحياة جابر فى عهد فتوته وشبابه الى تاريخ سابق على سنة ٧٦٥ م (١٤٨ هـ) وهى السنة التى توفي فيها جعفر الصادق ، وأن عهد رجولته يقع في الربع الاخير من القرن الثامن الميلادى الى مابين (٧٧٥ — ٨٠٠ م — ١٥٩ — ١٨٤ هـ) أما حجى خليفة في كتاب « كشف الظنون » فيقول بأنه توفي سنة ١٦٠ هـ اى مابين سنتى ٧٧٦ و ٧٧٧ م . غير أن هذ القول ظاهر الخطأ ذا راعينا الاعتبارات السابقة وذكرنا علاقة جابر بالبرامكة ، تلك العلاقة المحققة الوجود بكثير من المراجع التاريخية .

أما الجلدقي (٥) فقد روى في كتابه «نهاية الطلب» كثيرا مما عانى كيماويو العرب لدى أول اشتغالهم بهذا العلم من الاضطهاد والمصاعب . وذكر عن جابر

---

(١) راجع النسخه المطبوعه من مؤلفات جابر فى نورمبرج Nuremberg سنه ١٥٤١ م

(٢) فى النسخه المطبوعه من مؤلفاته فى دانزج Danzig سنه ١٨٤٢ م . ومن الغريب أن تطبع هذه النسخه فى أواسط القرن التاسع عشر ويدعى فيها جابر بانه ملك العرب مع أن الاوروبيين كانوا قد جاسوا خلال الشرق وكل كتب التراجم العربيه المشهورة لا يخلو منها كتاب من ترجمه لجابر

(٣) فى مكتبه بودلى باكسفورد-Liber bracticus Geberis de inveatigatione perfectai Majistrii

(٤) Liber qin FIos maturarum iocanr— 1493 طبع سنه ١٤٧٣ م

(٥) مؤلف وسع الاطلاع على تاريخ كيماويي العرب توفى سنه ١٣٦٠ م ٧٦٢ هـ

ابن حيان أنه خلص من الموت مرارًا عديدة ، كما أنه قاسى كثيرا من انتهاك الجهلاء لحرمته ومكانته ، وأنهم كانوا يحسدون عليه علمه وفضله ، وأنه اضطر الى الافضاء ببعض أسرار الصناعة (أى الكيمياء) الى هرون الرشيد والى يحيي البرمكي وابنيه الفضل وجعفر ، وان ذلك هو السبب فى غناهم وثروتهم . ولما ساورت الرشيد الشكوك فى البرامكة وعرف أن غرضهم نقل الخلافة الى العلويين مستعينين على ذلك بمالهم وجاههم ،وقتلهم عن آخرهم ، اضطر جابر بن حيان أن يهرب الى الكوفة خوفا على حياته (١) حيث ظل مختبئاً حتى أيام المأمون فظهر بعد احتجابه . وكل مايهمنا فى هذه الرواية أن المعروف على رواية ابن النديم وحجى خليفة أنه توفى سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ — ٧٧٧ م) ولكن اذا صحت رواية الجلدقى فلا بد من ان يكون جابر قد عاش بعد هذا العهد بزمان طويل ، لأن المأمون لم يرتق عرش الخلافة الا سنة ١٩٨ هـ ٧١٣ م . وهذه الروايات المتناقضة توسع مجالا كبيرا للبحث والتأمل .

*

* *

(٣) مؤلفاته

كان جابر بن حيان من أكثر العلماء كتابة وتأليفاً . أما قائمة كتبه الاصلية التى كانت بين يدى ابن النديم صاحب الفهرست فقد فقدت . ولذلك تجد أن القائمة التى ذكرها في الفهرست ناقصة لايعتمد عليها كمرجع يصح أن يعتبر كاملا . أما العلامة « فلوجل » Flugel الالمانى فاعتمد عليها واتخذها مرجعا تاماً ، وكان ذلك من أكبر الاخطاء التى اعتورت بحثه فى حياة جابر هو وتلاميذه الملتفون من حوله ، الناحون في البحث نحوه (٢) أما ترجمة « برتيلو » (٣) لاسماء الكتب

---

(١) هذا هو السبب فى نسبته للكوفة عند بعض المؤرخين

(٢) و (٣) راجع الاستاذ هوليارد رئيس القسم العلمى فى الجمعية الطبية الملكية بانجلترا فى مقالاته عن جابر بن حيان.

التى أخذها عن الفهرست لابن النديم فأكثرها غير صحيح ؟ وفي ذلك دلالة على أنه لم يستطع أن يدرك معنى الاسماء ادراكا تاماً ، وأنه لم يحقق ماوقع فيها من التصحيف والخطأ النقلى .

أما اذا أردنا أن نذكر كل مؤلفات جابر التى تناقلت الالسن أسماءها منسوبة اليه ، فان ذلك يشغل فراغا كبيرا ولكنا نذكرهنا أشهر كتبه المعروفة مقسمة الى أربعة أقسام :

الاول — (ا) الكتب التى ذكرها صاحب الفهرست والكتب التى يوجد منها طبعات معروفة أو مخطوطات محفوظة .

الثانى — (ب) كتبه المشهورة التى لم تعرف فى العالم العربى الحديث وعرفت فى أوروبا .

الثالث — (ج) الكتب المذكورة في الفهرست وهى إما معروفة بالاسم فقط واما موجودة بالفعل .

الرابع — (د) الكتب التى لم تعرف الا عناوينها .

ولقد أجمع أكثر من وقفت على كتاباتهم في جابر على أن كتاب «السموم» من الكتب التى فقدت ولم يعرف منها إلا اسمها ، ولكن الحقيقة على الضد من ذلك كما سنرى بعد .

* * *

(ا) الكتب التى ذكرها صاحب الفهرست والكتب التى يوجد منها طبعات معروفة أو مخطوطات محفوظة .

(١) كتاب اسطقس الأس الاول . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١

(٢) كتاب اسطقس الأس الثانى . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .

(٣) كتاب اسقطس الأس الثالث . نقل بالزنكوغراف فى الهند سنة

١٨٩١ ، ويظهر أن الجزء الثالث من هذا الكتاب هو المعروف عند صاحب الفهرست بكتاب الاسطقس .

(٤) كتاب تفسير الاسطقس . وهذا يضاف الى الكتب الثلاثة المتقدمة ولم يذكره صاحب الفهرست .

(٥) كتاب الواحد الاول . منه نسخة بالقسم العربى من المكتبة الاهلية (Bibliotheque Nationale) بباريس في المجموعة رقم ٢٦٠٦ وارجح أنه هو بعينه الكتاب الذى ذكره صاحب الفهرست باسم كتاب الواحد الكبير .

(٦) كتاب الواحد الثانى . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح أنه المعروف عند ابن النديم باسم كتاب الواحد الصغير .

(٧) كتاب الركن . يرجح أنه هو بعينه كتاب الاركان . وقد أخذت مقطوعات منه فى القسم السابع من كتاب « رتبة الحاكم » للمجريطى ، ويقول هولميارد بأن كتاب رتبة الحاكم نسب خطأ الى المجريطى . وقد ذكر جابر نفسه كتابا له باسم كتاب الاركان الاربعة في كتابه (نار الحجر » — أما المجريطى فهو أبو القاسم مسلمة بن أحمد المجريطى الذى عاش فى مدينة مدريد فى حكم الحكم الثانى (٩٦١ — ٩٧٦ م) درس الفلسفة والرياضيات والفلك والكيمياء فى الشرق وكان على صلة باخوان الصفا ، ويظن أنه كتب بعض فصول من رسائلهم المعروفة ، بما فى ذلك الفصل المكتوب في الكيمياء ، وقد أكثر من ذكرهم في كتاب رتبة الحاكم .

(٨) كتاب البيان . نقل بالزنكوغراف فى الهند سنة ١٨٩١ .

(٩) كتاب النور . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .

(١٠) كتاب الزئبق . طبع برتيلو المؤلف الفرنسوى كتابين أحدهما باسم كتاب الزئبق الشرقى والآخر باسم الزئبق الغربى ، ونقلهما من مكتبة ليون في القسم العربى مجموعة رقم ٤٤٠ ، ومنهما نسختان بالمكتبة الاهلية بباريس

بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١١) كتاب الشعر . منه نسخة بالمتحف البريطانى بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ نمرة ٥ .

(١٢) كتاب التبويب . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ وذكره الطغرائى ، راجع المجموعة رقم ٨٢٢٩ بالمتحف البريطانى .

(١٣) كتاب الدرة المكنونة . في المتحف البريطانى مخطوطة بهذا العنوان ضمن مؤلفات جابر بن حيان بالمجموعة رقم ٧٧٢٢ .

(١٤ و ١٥) كتاب الشمس وكتاب القمر . أى كتاب الذهب وكتاب الفضة . يرجح أنه مختصر عن كتاب الاحجار السبعة . وقد ذكره الجلدقى في نهاية الطلب ، ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(١٦) كتاب التراكيب . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ ويرجح أنه الذى ذكر في الفهرست باسم كتاب التركيب .

(١٧) كتاب الحيوان . يذكر الجلدقى كتابا نسبه الى جابر بعنوان كتاب حياة الحيوان .

(١٨) كتاب الاسرار . يرجح أنه كتاب « سر الاسرار » المحفوظة منه نسخة بالمتحف البريطانى (بالمجموعة رقم ٢٣٤١٨ نمرة ١٤)وأنه هو الذى ذكر منه الطغرائى عدة مقطوعات في عدة مواضع (راجع مجموعة المتحف البريطانى رقم ٨٢٢٩) وفي اللاتينية مخطوطة تنسب الى جابر عنوانها (Secreta secretorim) في كلية جوفنيل وكايوس Govnille & Caius college رقم ١٨١ وفى كلية كوربس كرستى Corpus christi كمبردج رقم ٩٩ .

(١٩) كتاب الارض . لجابر كتاب « أرض الاحجار » طبعه برتيللو مأخوذا عن مجموعة ليدن رقم ٤٤٠ ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٢٠) كتاب التركيب الثانى . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة رقم ٢٦٠٦ .

(٢١) كتاب الخواص . منه نسخة بالمتحف البريطانى رقم ٤٠٤١ وبالمجموعة رقم ٢٣٤١٩ .

(٢٢) كتاب التذكير . ترجم العلامة هولميارد اسم هذا الكتاب من الانجليزية The book of rendering masculin فهو أذن خاص بالبحث فى عنصر الانتاج المعروف وليس بمأخوذ عن مجرد التذكر الذهنى . وفي المتحف البريطانى مخطوطة بهذا العنوان مذكورة ضمن مؤلفات جابر بالمجموعة ٧٧٢٢ رقم ١٢

(٢٣) كتاب الاستتمام . ذكر الطغرائى بعض مقطوعات صغيرة من هذا الكتاب (راجع محفوظات المتحف البريطانى رقم ٨٢٢٩) وكذلك ذكره لجلدقى في كتابه نهاية الطلب . وهذا الكتاب يقابل اسم الكتاب المعروف في اللاتينية ومنسوب الى جابر بعنوان: Liber da investigatione perfectioni

(٢٤) كتاب ألاحجار . نقل بالزنكوغراف فى الهند سنة سنة ١٨٩١ .

(٢٥) كتاب الروضة . ذكره الجلدقى فى الجزء الثامن من كتابه نهاية الطلب .

(٢٦) كتاب المنافع . في مكتبة برلين مخطوطة رقم ٤١٩٩ بعنوان كتاب منافع الاحجار .

(٢٧) كتاب الايضاح . نقل بالزنكوغراف في ألهند سنة ١٨٩١ .

(٢٨) كتاب مصححات أفلاطون . منه نسخة بالقسطنطينية بمكتبة راغب باشا مجموعة ٩٦ رقم ٤

(٢٩) كتاب الضمير . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموعة ٢٦٠٦ وذكره الجلدقى فى الجزء الثانى من نهاية الطلب باسم كتاب الضمير فى خواص الاكسير .

(٣٠) كتاب الموازين . طبعه برتيلو مأخوذا عن نسخة بليدن محفوظة بالمجموعة ٤٤٠ ويظن مستر هولياد أن هذا الكتاب هو المعروف بعنوان : Liber de ponderibis artis المحفوظة منه نسخة في مكتبة الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ فى فهرست المكتبة .

(٣١) كتاب الملك . ذكر صاحب الفهرست أن جابرا قد ذكر أنه ألف كتابا باسم « كتب الملك » .وهذا يدل ان صح، على أن الكتاب المذكور كان يتكون من عدة كتب جمعت تحت عنوان واحد . ومما يؤيد هذا الزعم أن برتيلو طبع كتاب الملك عن نسخة بليدن رقم ٤٤٠ من المجموعة العربية ، فى حين توجد نسخة أخرى مختلفة عما طبع برتيلو في المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ وهاتان النسختان مختلفتان عن نسخة من كتاب الملك نقلت بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ ويرجح هوليارد أن هذا الكتاب نقل الى اللاتينية وذكره بوريليوس Borellius راجع محفوظات الجمعية الكيماوية بباريس رقم ١٦٥٤ ص ١٠٣ وذكره كارينى Carini أيضاً بعنوان Rivista sicula

(٣٢) كتاب الرياض . منه نسخة بمكتبة بودلى رقم ٧٠ وأخرى بالمتحف البريطانى المجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥

* * *

(ب) كتب ذات خطر لم تعرف فى العالم العربى الحديث

(٣٣) كتاب أبى قلمون . في الجدول الذى ذكر فيه صاحب الفهرست مؤلفات جابر يذكر كتاب بعنوان « كتاب الى قلمون »

وقد ترجم برتيلو اسم هذا الكتاب الى الفرنسوية فكان عنده Livre a Qalamoc ' (Plus-etre fait-il) lire Le livre du Cameleon, (وكلمة Caméleon معناها الحرباء وبالانجليزية Chameleon أما البحائة « فلوجل » فيقرر أن قراءة « الى قلمون » فى الفهرست تصحيف أو خطأ في

في النقل ، وانها تقرأ « أبى قلمون» ويقول « هوليارد »ان ماقرره « فلوجل » لا يحتمل شكا . لان كلمة « أبى قلمون » في العربية اسم للحشرة المعروفة فى الانجليزية باسم Jasper وهى حشرة تأكل الذباب. وقد ضرب المثل في العداء بالضب والنون والذباب وأبى قلمون

(٣٤) كتاب ال « بدوح » ذكر في الفهرست . ويقول هوليارد أن برتيلو قد اخطأ في قراءة الاسم اذ قرأة كتاب البدوح al-Badouh من غير أن أن يفسر ماالبدوح هذا .ويقول بأن القراءة الصحيحة هي كتاب أل«بدوح » لان مجموع هذه الاحرف يمثل القيمة العددية (٢٤٦٨) غير أنى أرجح صحة قراءة برتيلو . فانا لانزال نرى على بعض الخطابات كلمة « بدوح » وتحتها الرقم (٨٦٤٢) وهو الاصح لا الرقم (٢٤٦٨) كما ذكر هوليارد . وهو طلسم يفيد السرعة والانجاز . ولعله كان يستعمل ، كما قال هوليارد ، كتعويذة طلسمية تسهل على الوالدات اذا تعسرن في الوضع . والعلامة دى ساسى من هذا الرأى

(٣٥) كتاب المجردات . ذكر في الفهرست . وهو بعينه المعروف فى اللاتينية باسم .Liber denudatorum ونسب الى الرازى خطأ (راجع دوزى) وذكره أيضا بوريليوس .

(٣٦) كتاب التصريف . وهو المعروف فى اللاتينيه باسم —
Liber mutatorium

(٣٧) كتاب الثلاثين كلمة . معروف في اللاتينية باسم Liber de xxx verbis

(٣٨) كتاب الخمسة عشر . معروف فى اللاتينية باسم Liber xv منه نسخة عربية في مكتبة جامعة ترينتى با كسفورد رقم ٣٦٣ .

(٣٩) كتاب مصححات سقراط . يظن هوليارد أنه نفس الكتاب المعروف في العالم اللاتينى باسم : Ad Iandem Socratis dixit Geberis
منه نسخة فى مكتبة بودلى رقم ١٤١٦ .

(٤٠) كتاب السبعين . ذكره برتيلو ووصفه أتم وصف وهو معروف في العالم اللاتيني باسم Liber Lxx في المتحف البريطاني بالمجموعة ١٠٧٦٤ .

(٤١) كتاب شرح المجسطي . ذكر في الفهرست وترجمه «جيرار الكريموني» Gerard of Cremona منه مخطوطة بجامعة كوربس كرستي با كسفورد بالمجموعة ٢٣٣ وأخرى بمكتبة بودلي وثالثة بمكتبة جامعة كمبردج .

(٤٢) كتاب الوصية . منه نسخة بالمتحف البريطاني بالمجموعة ٧٧٢٣ ومنه ترجمة لاتينية Geberi testamentum في جامعة ترينتي بكمبردج (مجموعة ٩٢٥ و ١٣٨) وقد طبعت هذه الترجمة عدة طبعات .

(٤٣) كتاب الملاغم . ذكر في رتبة الحاكم . أما الملاغم في الكيمياء فيراد بها خليط من معدن وزئبق . وفي المعادن ، الملغمى معدن يكون على هيئة بلورات أو كتل كبيرة أو نصف سائل أبيض اللون فضيه . اذا قصم أو قطع أحدث صريراً . وهو مؤلف من فضة وزئبق . أما ملغم الذهب فهو حصى معدنية صغيرة الحجم كالحمص بيضاء اللون حبيبية القوام سهلة التفتت . وقد تكون على هيئة موشورات بيضاء ضاربة الى الاصفرار ثلثها ذهب وثلثاها زئبق .

(٤٤) كتاب الخالص . يقول هوفر (Hoefer) في كتابه « تاريخ الكيمياء» أن كتاب الخالص هو الاصل الذى أخذ عنه الكتاب المعروف فى العالم اللاتينى باسم Summa perfectionis غير أنه لم يؤيد قوله هذا ببرهان .

***

(ج) الكتب المذكورة فى الفهرست وهي اما موجودة أو معروفة بالاسم فقط

(٤٦) كتاب صندوق الحكمة .

(٤٧) كتاب اخراج مافى القوة الى الفعل .

(٤٨) كتاب الحدود . منه نسخة بمكتبة القاهرة .

(٤٩) كتاب كشف الاسرار وهتك الاستار . منه نسخة بالمتحف

البريطاني في المجموعة ٧٧٢٢ رقم ٥٤ وأخرى بمكتبة القاهرة . وطبعه في لوندرا مصحوبا بترجمة انجليزية الاستاذ ستيل (R.Stule) سنة ١٨٩٢ ونشره لوزاك Luzae & Co.

(٥٠) رسالة فى الكيمياء . منها نسخة بمكتبة القاهرة .

(٥١) كتاب فى علم الصنعة الآلهية والحكمة الفلسفية . من نسخة بمكتبة القاهرة .

(٥٢) كتاب خواص إكسير الذهب . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس بالمجموع ٢٦٢٥ رقم ٦ . وترجمه الى الانجليزية العلامة هوليارد ونشر بمجلة (Science progress) سنة ١٩٢٢ ص ٢٥٨ حيث ذكر خطأ أنه رسالة من كتاب الخواص المار ذكره .

(٥٣) كتاب المقابلة والمماثلة . بمكتبة برلين رقم ٤١٧٧ قسم عربى .

(٥٤) كتاب الرحمة . طبعه برتيلو عن نسخة مخطوطة بمكتبة ليدن رقم ٤٤٠ قسم عربى. أما الاستاذ هوليارد فيقول إن هذا الكتاب من تأليف أبى عبد الله محمد بن يحيي ذكر فيه كثيراً من المقطوعات عن جابر .ودليله على هذا أن مؤلفه ذكر اسم نفسه فى أكثر من موضع من الكتاب .

(٥٥) كتاب الرحمة الصغير . طبعه برتيلو ومنه نسخة فى المكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٥ ، ونقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ .

(٥٦) كتاب التجميع . طبعه برتيلو عن نسخة في مكتبة ليون رقم ٤٤٠ قسم عربى .

(٥٧) كتاب التجريد . نقل بالزنكوغراف في الهند سنة ١٨٩١ . وذكر جابر أنه ألف هذا الكتاب بعد ١١٢ مؤلف له وأنه يؤلف حلقة من سلسلة كتبه فى الميزان .

(٥٨) كتاب السهل . منه نسخة بالمتحف البريطانى رقم ٧٧٢٢ .

(٥٩) كتاب الصافي . منه نسخة بالمتحف البريطانى رقم ٧٧٢٢ .

(٦٠) كتاب الاحراق .

(٦١) كتاب التخليص .

(٦٢) كتاب الابدال .

(٦٣) كتاب زهر الرياض .

هذه الكتب الاربعة الاخيرة ذكرها الجلدقى.

(٦٤) كتاب الاصول . في المتحف البريطانى بالمجموعة ٢٣٤١٨ رقم ١٣ وذكر بوريلوس أنه ترجم الى اللاتينية تحت عنوان Liber Radicum .

(٦٥) كتاب مهج النفوس . ذكره الجلدقى فى الجزء الثانى من نهاية الطلب

(٦٦) كتاب شرح كتاب الرحمة . ذكره الجلدقى فى الجزء الثانى من نهاية الطلب .

(٦٧) كتاب العفو . ذكره الطغرائى . وبالمتحف البريطانى نسخة رقم ٨٢٢٩

(٦٨) كتاب الراحة . ذكره الطغرائى .

(٦٩) كتاب السر المكتوم : ذكره الطغرائى

(٧٠) كتاب العوالم . ذكره الطغرائى وكذلك ذكر برتيلو مؤلفاً بهذا العنوان في الطبعة التى أخرجها لكتاب الموازين . ومن هذا الكتاب نسخة في المكتبه الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٧١) كتاب الذهب

(٧٢) كتاب الفضة

(٧٣) كتاب النحاس

(٧٤) كتاب الحديد

(٧٥) كتاب الاسرب

(٧٦) كتاب القصدير أو القالى .

ومن هذه الكتب الستة نسخ بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٧٧) كتاب الخارصيني أو الخار الصيني . والخار الصيني معدن سمى فى اللاتينية (katesim) ويرجح أنه تركيب من الزنك والحديد . ويقول دوزى أنه اسم صرف على الزنك وحده . ومنه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس وقم ٢٦٠٦

(٧٨) كتاب الايجاز .

(٧٩) كتاب الحروف .

(٨٠) كتاب الكبير .

ومن هذه الكتب الثلاثة نسخ بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ .

(٨١) كتاب نار الحجر . منه نسخة بالمكتبة الاهلية بباريس رقم ٢٦٠٦ وطبعه برتيلو عن نسخة بمكتبة ليون رقم ٤٤٠ .

*
* *

(د) كتب لم تعرف الا عناوينها .

(٨٢) كتاب الاربعة .

(٨٣) كتاب التصعيد .

(٨٤) كتاب الاطيان .

(٨٥) كتاب التنقية .

وهذه الكتب الاربعة ذكرها الجلدكى بلا تعليق فى نهاية الطلب .

(٨٦) كتاب التنزيل .

(٨٧) كتاب المنتهى

ذكرهما جابر نفسه في كتاب الخواص

(٨٨) كتاب الخمسين . ذكره جابر في كتاب الزئبق الغربى .

(٨٩) كتاب الأدلة . ذكره جابر فى كتاب الموازين .

(٩٠) كتاب صنعة الكون . ذكره جابر في كتاب الرحمة الصغير .

(٩١) كتاب تدبير الحكماء . ذكره جابر في كتاب الموازين .

(٩٢) كتاب السموم .

ولقد اضطررت هنا إلى ذكر كتاب السموم بين كتب جابر التي لم تعرف الا عناوينها مجاراة للرأى الشائع في أوروبا في حين أن هذا غير صحيح كما سيبين بعد .

***

٤ — كتاب السموم

من اشهر مؤلفات جابر بن حيان كتاب السموم . لأن السموم فى الكيمياء وفى المادة الطبية — Materia Medica من أشد الأشياء علاقة بعلم الطب . غير أن الظاهر أن أكثر الباحثين من المستشرقين ، ومن بينهم فئة من مثل الاستاذ روسكا وهولميارد وده ساسى لم يعثروا على نسخة من كتاب السموم . غير أنى عثرت في المقتطف على مقالة نشرت بالمجلد ٥٨ ص ٤٠ و ٤١ على شيء عن كتاب السموم نجتزىء منه مما يأتى إتماما لفائدة البحث :

«ولجابر بن حيان كتاب اسمه السموم ، منه نسخة بالمكتبة التيمورية بمصر يقال فيها إن مؤلف الكتاب هو ابى موسى جابر بن حيان الصوفي تلميذ جعفر الصادق ، وأن هذه النسخة نسخت بشيراز سنة ثلاث وخمسمائة خراجية . واذا ثبتت نسبة هذا الكتاب إلى جابر بن حيان فهو إذاً أقدم الكتب العربية التى وصلت إلينا ، لأن جابر توفى سنة ١٦٠ للهجرة على ماذكره حجى خليفة فى كشف الظنون وذلك يطابق سنة ٧٧٦ ميلادية . وفى رواية أخرى أن جابراً كان تلميذاً لخالد بن يزيد وهذا توفي سنة ٨٥ للهجرة . وقد تضاربت الأقوال في مسقط راسه ، فقيل فى طوس وقيل فى الكوفة وقيل بحران في القرن الثالث الهجرى وإنه كان صابئاً .

«وهذه النسخة مبدوءة بالبسملة ولكنها خلو من الحمدلة والصلاة والتسليم . وهذا يدل على أنه كان صابئياً ولعل البسملة زيادة من النساخ . »

« والكتاب مقسوم الى ستة فصول »

« الاول — فى اوضاع القوى الأربع وحالها مع الادوية المسهلة والسموم القاتلة وحال تغير الطبائع والكيموسات المركبة منها أبدان الحيوانات . والثانى فى أسماء السموم ومعرفة الجيد منها والردىء وكمية مايسقى من كل واحد منها وكيف يسقى وأوجه إيصالها إلى الابدان — والثالث — فى ذكر السموم العامة الفعل فى سائر الأبدان والتى تخص بعض أبدان الحيوان دون بعض ، والتى تخص بعض الاعضاء من أبدان الحيوانات دون بعض . والرابع — في علامات السموم المسقاة والحوادث العارضة عنها فى الأبدان والانذار فيها بالاخلاص والمبادرة إلى علاجه والحكم بالاياسى مما لاحيلة فيه . والخامس — السموم المركبة وذكر الحوادث الحادثة عنها — والسادس — فى الاحتراس من أخذ السموم قبل أخذها . فاذا أخذت لم تكد تضر ، وذكر الأدوية النافعة فى السموم إذا شربت من بعد الاحتراس منها . »

« وقد قسم السموم إلى ثلاثة أنواع حيوانيه ونباتية وحجرية ، فمثال الأولى مرار الافاعى ومرارة النمر ولسان السلحفاة وذنب الايل والارنب البحرى والضفدع والذراريح والعقارب والكلب الكلب ، ومثال الثانية البيش وقرون السنبل والأفيون والبنج الاسود والشوكران والشيلم والجوز ماثل والكسيرة وبزر قطونا والقطر والكمأة وصمغ الشذاب والبلاذر والدفلى والخربق واللفاح واليبروج وعنب الثعلب والحلتيت . ومثال الثالثة — الزنجار والزئبق والزرنيخ والنورة والزاج والشب والطلق و برادة الحديد و برادة الذهب . »

« وقد أكثر المؤلف من ذكر فلاسفة اليونان وأطبائهم كانه اعتمد عليهم ولاسيما في الكلام العامى عن فعل السموم كقوله قد أطلق بقراط وجالينوس وأندروماخس وسائر أصحاب المهنة الطبية أنه لا شىء فى أجسام الحيوان من الاخلاط أكرم من الدم وأنه قاعدة البدن »

* * *

٥ — تلمذته على جعفر الصادق

تقع في أكثر التراجم التى كتبت عن حياة جابر بن حيان على أن تلمذ للامام السادس جعفر الصادق (١) (٨٠ أو ٨١ الى ١٤٧ هـ — ٦٩٩ أو ٧٠٠ الى ٧٦٥ م) وليس فى التاريخ الزمانى ماينا قض ذلك . فان المرجح أن جابراً قد عاش مابين سنتى (١١٢ أو١٢٣ إلى ١٩٥ هـ — ٧٣٠ أو ٧٤٠ إلى ٨١٠ م) (٢) ولكن الشك الكبير يقع فى أنه جعفراً قد اشتغل بالكيمياء .

نترك هذا البحث إلماماً لنحقق النظر فى مسألة أثار غبارها الاستاذ روسكا (٣)— Ruska — فانه يقول بان المسلمين ينقسمون الى قسمين عظيمين ، الشيعيون والسنيون ، وأن الشيعة غالبهم من الفرس ، و يقدسون علياً بن أبى طالب ، ولهم فيه معتقدات شتى ، وأنهم أكثر نزعه الى الصوفية : أى الباطنية الاسلامية : من نظرائهم الآخرين ، واذ كان جعفر الصادق سليل بيت على بن أبى طالب ، لذلك يحترمه الشيعيون احتراما كبيرا ، ويحلونه مكانة عالية من نفوسهم . ولهذا فالاستاذ روسكا يرجح أن يكون جابر ، وهو فارسى ، ولا يبعد أنه كان ذا نزعة

---

١ — الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب

٢ — راجع تحقيق الاستاذ ذهو لمياردفى مجلةالكيميا ، والصناعه— Chemistry & Indusitry — عددى ١١و١٢ اكتوبر سنه ١٩٢٣ . وذكر حجى خليفه فى كشف الظنون أن جابرا توفى سنه ١٨٠ هـ . وهذا مناقض لتحقيق الاستاذ هولمياردد . على أنه فى روايه اخرى أنه كان تلميذا لخالد بن يزيد . وهذا توفى سنه ٨٥هـ — ٧٠٤ م فالفرق بين وفاة خالد وروايه كشف الظنون عن وفاة جابر ٧٥ سنه قريبه . وعلى تحقيق الاستاذ هولمياردد لم يعمر جابر اكثر من ٨٠ عاما على الاكثر أو ٧٠ عاما شمسيا ، وهذا يعادل ٨٣ عاما على الاكثر او ٧٢ عاما قمريا . وهذا يوسع مجالا كبيرا للشك والبحث معا .

١ — لاستاذ روسكا— Prof. Roska فى كتابه كيماويو العرب جزء ثان المطبوع فى هيدلبرج سنه ١٩٢٤ Arabische alchimesten. Vol. II. Heidelburg 1924.

صوفيه (١) قد احتك بجعفر الصادق ، وأنه كانت بينهما صلة وصداقة . وهذا القول هو الذى يرجح به الاستاذ روسكا أن علاقة كانت بين جابر وبين جعفر الصادق .

غير أن الاستاذ روسكا لايقف عند هذا الحد ، بل يذهب بعد هذا الى رأى آخر حيث يحاول أن يثبت أن جعفراً لم يشتغل بعلم الكيمياء، ويريد من جهه أخرى أن يقول بان كتب الكيمياء المنسوبة الى جعفر منتحلة فعلا ، وأنه لم يشتغل بذلك العلم ، ولم يؤلف فيه . وهو يمضى فى هذا الرأى مورداً كثيرا من الاسباب التى تحمله على الاستمساك به . غير أننا نورد سببا واحدا من الاسباب التى ذكرها . فهو يقول بانه مما يبعد تصوره أن الاشتغال بعلم الكيمياء ، وإن كان قد انتشر وذاع فى الاسكندرية وبغداد ودمشق ، قد يحتمل أن يكون قد وصل الى المدينة ، حيث كان يعيش جعفر الصادق ، احد أركان الشيعة ، وامام من أئمتها العظام ، وان يكون قد اشتغل عن الدعوة الشيعية بالزئبق والفوسفور أو بتعليم أمثال جابر بن حيان طريقة تحويل المعادن بعضها الى بعض . واستنادا على هذا الرأى ، لا يقف عند حد الاعتقاد بان جعفرا لم يشتغل بالكيمياء لاغير، بل يمضى معتقدا بأن كل الكتب المنسوبة الى جابر والتى ذكر فيها أن جابرا كان تلميذا لجعفر يجب أن تعتبر مدخولة على جابر ، وأنها من مختلقات العصور التالية لعصرها .

على أن فى مذهب الاستاذ روسكا كثيرا في مواضع الشك وترجيحات لا مرجحات لها . وذلك للاسباب الآتية .

أولا — لم يستدل فى التواريخ الموثوق بها أن جعفراً الصادق أمضى كل حياته بالمدينة لم يبرحها .

---

١ — فى كتاب السموم المخطوط المحفوظ فى المكتبه التيموريه بمصر يذكر ان مؤلفه جابر بن حيان الصوفى « كذا » تلميذ جعفر الصادق . وترجمه القفطى بانه جابر بن حيان الصوفى . راجع تاريخ الحكماء القفطى ص ١١١ طبع مصر .

ثانيا — إن قول الاستاذ روسكا في أنه لم يعرف ان المدينة كانت مركزا لدراسة علم الكيمياء ، ان كان صحيحا ، فان صحته لا تنافي مطلقا أن يكون الامام جعفر قد درس الكيمياء فى مكان آخر .

ثالثا — ان علم الكيمياء لم ينتعش و يثمر الا بين أيدى الفارسيين أولا ، وأنهم كانوا يعكفون على الاشتغال به .

رابعا — ان الصوفيين غالب ما كانوا يدخلون المصطلحات الكيماوية فى اشعارهم الباطنية .

خامساً — ولهذا ـ نقول بان جعفرا اذ كان من عمد الشيعة وأئمتها الكبار واذ كان على اتصال بشيعيي فارس ، فلهذا لا يوجد من سبب ظاهر يحول دون الاعتقاد بانه كان يشتغل بعلم الكيمياء من طريق نظرى على الاقل ، ان لم يكن من طريق عملى تجريبى .

سادسا — ان جابرا كان صوفيا كما هو مرجح من مقدمة كتاب السموم الذى ذكر قبلا ومن ترجمة القفطى له في تاريخ الحكماء .

سابعا — ان العادة في الطريقة الصوفية أن يتبع كل صوفى منهم شيخا له ولا يبعد أن يكون جابر قد تلمذ بالفعل على جعفر فى الصوفية ، ولا يبعد أن يكون قد سمع منه شيئا في الكيمياء .

كل هذه الحقائق والاحتمالات لا تدل ، حتى ولو لم يثبت أن جعفرا كان مشتغلا بالكيمياء ، على انبتات حبل الصلة بين جعفر وجابر ، كما أنه لم يثبت أن جعفرا لم يكن عارفا بمبادىء الكيمياء واغراضها .

على أن القول فى ذلك عديدة وجوهه مشعبة نواحية . وقد يحتمل أن يكون رأى الاستاذ روسكا صحيحا ، وقد يكون هو الواقع ، غير أن البراهين تنقصه .

* * *

٦ — منزلته فى التاريخ

ليس من شك في أن اسم جابر بن حيان من الاسماء الخالدة في التاريخ . وسواء أكان عربيا أم فارسيا ، مسلما أم صابئا ، خراسانيا أم كوفيا ، فانه من مفاخر الشرق برمته ، بل من مفاخر الانسانية كلها . لهذا نود فى هذه الخاتمة أن ننبه بعض الذين ينحون علينا بقولهم اننا نريد أن ننتقص العرب فى مدنيتهم وعلومهم ، على أن النصفة والاقساط فى القول ، لا سيما لدى النظر في مباحث التاريخ ، لن تتوافر أسبابهما إلا بتوافر أسباب الاستقلال فى الرأى . ولهذا نختتم هذا البحث متسائلين كما سأل ارسطوطاليس اخوانه فى التلمذة « اذا اختلف أفلاطون والحق ، فايهما أولى بالمحبة . » (١)

---

١ — نشرت بعددى مايو ويونيه سنه ١٩٢٦ من المقتطف .